ان الامر اوضح من ان ينكر ولكنكم تكابرون ولذا اقصل بذلك الوعيد لهم وعرض بتضليلهم
بان اهل العلم والنظر يعلمون ان القران والوحي كله حق ثم اتبع ذلك حكاية اخرى عن الكفار
هي اوضح في قلة انصافهم ولم يناظرهم بعد بل قال بل الذين كفروا في العذاب والضلال
البعيد ثم هددهم والحقهم باقوى تخويف قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من
عذاب السعير يحتمل انه عذاب الاخرة لانهم مكلفون بالطاعة اختيارا ويحتمل انهم مقهورون
بعذاب عاجل للمخالف وهذا هو المطلوب في حق كفار الجن والا فكم يركون ضرر من مس
الانس وهم يرونهم من حيث لا يرونهم قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم الاية اخرج البخاري
والحاكم وابن مردويه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ فرغ عن قلوبهم يعني بالراء
والغين المعجمة واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابو الشيخ في العظمة
وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم اذا اراد الله ان يوحي بامر تكلم بالوحي فاذا تكلم بالوحي اخذت السموات
رجفة شديدة من خوف الله فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا سجدا فيكون اولهم
يرفع راسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما اراد فيمضي به جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله
ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال
جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امره الله من السماء والارض واخرج سعيد بن منصور
وعبد بن حميد والبخاري وابو داود والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن ابي حاتم
وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على
صفوان ينفذهم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال
الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق
اخر ووصف سفيان بيده وفرج بين اصابع يده نصبها بعضها فوق بعض فيسمع الكلمة
فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او
الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب
معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة
التي سمعت من السماء وله روايات في مسلم وغيره وقد اورد المحدثون هذا الحديث
برواياته المتعددة في تفسير هذه الاية واعرض عن ذلك غيرهم نظرا الى ظاهر ما
اتصل بهذه الاية وليس في متن الاحاديث اشعار بانه تفسير للاية بل هو حديث في
كيفية الوحي وما يكون عنده قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى الاية او في ضلال مبين اي

الامر

الاحد الظاهر المبهم الصادق على كل منا ومنكم يحتمل احد الامرين في حد ذاته اذ ليس
احدهما بضروري فطري فيتوجه على كل من يريد النظر لنفسه وحاصلها ان ينصف نفسه
في النظر فان النظر هلا لكل ذي حجرة فاذا ظهر له امر نفسه فقد ظهر له ان خصمه على
الخلاف لما علم من اختلافنا فعلم ان تكرير الابهام لكونه في الاول بين الفريقين وفي الاخر
بين الوصفين اي كل منا على احد الامرين لا محالة فمن عرف نفسه عرف خصمه ومن
انصف نفسه فقد انصف خصمه فهذا ارشاد الى الانصاف وبعث عليه على الطف وجه
وهو موعظة شاملة لكل ناظر ومناظر فسبحان الله ما احكم قوله قوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس جعل في الكشاف كافة صفة لمصدر محذوف وتبعه البيضاوي والصفوي
وقال الصفوي والاظهر ما اختاره ابن مالك من انه حال من المجرور ولا باس بالتقديم لان
استعمال الفصحاء ورد عليه قال الدماميني وفيما ذكره الزمخشري ضعف لان كافة لم تخرج
عن الحالية ومثله ذكر في اعراب السفاقسي قال ابن هشام في المغني وتجويز الزمخشري ذلك
الوجهين يعني الحال من الفاعل والحال من المفعول في ادخلوا في السلم كافة وهم لان
كافة تختص بمن يعقل ووهم في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اذ قدر كافة نعتا
لمصدر محذوف اي ارسالة كافة اشد لانه اضاف الى استعماله فيما لا يعقل اخراجه عما
التزم فيه من الحالية ووهم في خطبة المفصل اذ قال محيط بكافة الابواب اشد واشد
لاخراجه اياه عن النصب البتة انتهى ولا بعد ان يقال لفظ كافة موضوع لمعنى معروف
والاصل انه لا يحجر في التركيب وغاية ما في الباب هولاء المعترضين انهم ما وجدوا لفظ كافة
مستعملا في غير ما ذكروه وهم نافون لما لم يجدوا ولا شك ان الزمخشري اعرف بمعرفة
كلام العرب واذا استعمله وخرج عليه كتاب الله فهو مثبت وهم نافون والمثبت مقدم
على النافي سيما مع احاطته باللغة بشهادة الاساس وسائر كتبه وكل بعد من تعادل هولاء
المعترضين مع تتبع كتابه من المفسرين لمن ذكرنا وعقد الاصل فهو جواز كل تركيب ما لم يمنع مانع
ولم يذكروا مانعا مع ان في الحال ايضا نوعا وهو ما زعم الجمهور وسيبويه وهو وقوع المانع
وشهرة العالمين هو الحامل للزمخشري على التخطئة هنا والحجة واثم الحاق الثاني مثل كافة
سماعي سمع في روايته والفاظ معدودة فيحتاج ثبوتها في مثل هذا الموضع الى نقل والاصل
هنا المنع بخلاف منعهم كما بينا والله اعلم وابن مالك قال لا يخوض الحال ولكن على ضعف
نقله الدماميني فهو مفيد لتعدد الصفوي الذي نعدم وارجاح حصله حالا من الكاف
فعلى قوله تكون الى كناعلام بخلاف من جعل الحال من المجرور قوله تعالى وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه اخرج احمد وابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف